درس 93
بيعتا العقبة، والإسراء والمعراج

عرض رسول الله ρ نفسه على القبائل وبيعة العقبة الأولى

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كفار قريش لا يَنْفَكُّون عن مقاومته ومعارضته في تأدية رسالة ربه ، ألهمه الله تعالى أن يعرض نفسه على غيرهم من كبار العرب؛ عسى أن يجد منهم حماية وعَضُداً يُعِينُهُ على تأدية الرسالة وتبليغ الدعوة، فكان صلى الله عليه وسلم يخرج في مواسم العرب وأسواقهم التي كانوا يقصدونها للتجارة والمفاخرة ـ وخصوصاً مواسم الحج- داعياً لهم إلى الله تعالى ، قارئاً عليهم القرآن الكريم ، طالباً منهم نصره حتى يؤدى رسالة ربه ، فلم يكونوا يجيبونه، إلى أن قَدِمَ وَفْدٌ من يَثْرب (المدينة المنورة، واسمها أيضاً طَيْبَة) من قبيلة (الأوْس) يريدون أن يعقدوا حلفا مع قريش لينصروهم على بني عمهم (الخَزْرَج)، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بقدومهم قابلهم وقال لهم: هل لكم في خير مما جئتم له؟ أنا رسول الله بعثني الله إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. وتلا عليهم شيئاً من القرآن ، وذكر لهم أمور الإسلام ، فمال بَعْضُهُم إلى قبول الإسلام وأبَى الآخرون، فانصرف الجميع إلى المدينة دون أن يسلموا.

ثم وَفَدَ في مَوْسِمِ الحج جماعة من الخَزْرَج، فقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام وإلى معاونته في تبليغ رسالة ربه، وكانوا ستة رجال فأسلموا جميعاً ، ووعدوه المقابلة في المَوْسِمِ المقبل ، وهم أول من أسلم من عرب المدينة، وهم أسعد بن زُرارة، وعَوْف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقُطْبَة بن عامر، وعُقْبَة بن عامر، وجابر بن عبد الله.

فلما كان العام المقبل قَدِم خمسة منهم في اثنتي عشر رجلاً من الخَزْرَج واثنان من الأوْس، واجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند العَقَبة، وأسلم باقيهم، وبايعوا كلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصونه في معروف ، وأرسل معهم من يُقْرِؤُهُم القرآن ويُفَقِّهُهُم في الدين. وبذلك انتشر الإسلام في دور المدينة، وصار حديث القوم في مجتمعاتهم ونواديهم، وقد سميت هذه البيعة (بيعة العقبة الأولى).

بيعة العقبة الثانية وهجرة بعض المسلمين إلى المدينة

في موسم الحج في العام الذي يلي بيعة العقبة الأولى؛ وفد إلى مكة كثيرون من أهل المدينة ، فقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووعدهم المقابلة ليلاً عند العقبة، وأمرهم أن يكتموا أمرهم فلا يطلع على ذلك أحدٌ من كفار قريش ، فتوجهوا إلى موعدهم في منتصف الليل كاتمين أمرهم عَمَّن معهم من المشركين (وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم عمه العَبَّاس، وكان باقياً على دين قومه، وإنما أحضره معه ليتوثق له) ، فلما اجتمعوا قال لهم العَبَّاس: إن ابن أخي هذا لم يزل في مَنَعَةٍ من قومه ، فإن كنتم ترون أنكم قَوَّامون له بما دعوتموه إليه من البَيْعَة ، ومانِعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإلا فدضعُوه بين عشيرته ، فقال كبيرهم: إنما نريد الوفاء والصدق وبذل مُهَجِنا دون رسول الله. وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم شروط البَيْعَة ، فقال : أشترط لربي أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ، ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قَدِمْتُ عليكم. فبايعوه على ذلك، وكانوا ثلاثاً وسبعين

رجلاً، منهم اثنان وستون من الخَزْرَج ، وأحد عشر من الأوْس ومعهم امرأتان وسميت هذه البَيْعَة (بَيْعَة العَقَبَة الثانية).

واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم اثني عشر نقيباً: تسعة من الخَزْرَج وثلاثة من الأوْس، وقال لهؤلاء النُّقَباء: أنتم كُفَلاء على قومكم ؛ كل على عشيرته ، فلما رجعوا إلى المدينة ظهر الإسلام بها أكثر من المرة الأولى.

وقد شعرت قريش بهذه البيعة فازداد أذاهم للمسلمين الموجودين بمكة ، فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بالهجرة إلى المدينة، فصاروا يتسللون إليها وُحْداناً وجماعات، مختفين عن أعين قريش ، حتى إنه لم يبق بمكة إلا أبو بكر الصديق وعليّ بن أبي طالب وقليلون ممن لم يَقْدِرُوا على الهجرة، وقد أراد أبو بكر رضي الله عنه الهجرة فأشار عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالانتظار حتى يأذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، فانتظر أبو بكر رضي الله عنه، وأعَدَّ لذلك راحِلَتَيْن كانتا عنده: إحداهما له والأخرى لرسول الله صلى عليه وسلم.

الإسراء والمعراج

قبل هجرة النبيِّ صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة بقليل؛ أكرمه الله تعالى بالإسْراء والمِعْراج.

أما الإسْراء فهو توجهه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الذي فيه الكعبة المشرفة إلى المسجد الأقصى وهو بيت المَقْدِس (بالشام)، ليريه الله سبحانه وتعالى من عجائب آياته ما يناسب قدره العظيم.

فقد ركب صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى البُراق ، وهو دابَّة ليست كدوابنا هذه، وإنما هي شيء سخره الله تعالى لرسوله إكراماً وتعظيماً ، يضع ذلك البُراق حافِرَه عند منتهى طرفه، فسار به من المسجد الحرام بمكة حتى وصل إلى بيت المقدس في ليلته ، فدخل المسجد وصَلَّى فيه بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام إماماً.

وأما المِعْراج فهو بعد أن خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس ركب البُراق وصَعِدَ به إلى السماوات، فكان كلما وصل إلى سماء يستفتح جِبْريلُ فيقال: من أنت؟ ومن معك؟ فيقول: جِبْريلُ ومُحَمَّد، فيقال: أو قد بُعِث إليه؟ فيقول: نعم، فيفتح لهما مع الترحيب والدعاء بالخير، حتى انتهيا من السماء السابعة، وبعدها توجه صلى الله عليه وسلم إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وهناك شاهد ما لا تدرك العقول البشرية حقيقته، وأوْحَى الله تعالى إلى نبيه ما أوْحَى، وفرض سبحانه عليه وعلى أمته في ذلك الوقت خمسين صلاة في كل يوم وليلة، ونزل صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلى السماء السادسة، ولَقِيَ فيها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فأخبره بما فرض الله عليه وعلى أمته، فأشار عليه أن يرجع فيسأل ربه التخفيف، فإن أمته لا تطيق ذلك.

فلم يزل يرجع بين ربه عز وجل وبين موسى عليه السلام حتى جعل الله تعالى الصلوات المفروضة خمساً في الفعل وخمسين في الأجر.

ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى مكة من ليلته، فلما أصبح ذهب إلى نادى قريش فأخبر القوم بما رآه، فكَذَّب من كَذَّب وارْتَدَّ بَعْضُ ضِعاف القلوب عن الإسلام، ثم امتحنوه بوصف بيت المقدس فوصفه كما هو، ثم سألوه عن عِيرٍ (قافلة تجارة) لهم في الطريق فأخبرهم بعدد جِمالِها وأحوالِها ووقتِ قُدومِها، فكان كما قال، ومع ذلك لم تَرْدَعْهُمْ تلك الأدِلَّة الظاهرة عن عنادهم وكفرهم؛ إلا من وفقه الله تعالى وثَبَّتَه على دين الإسلام. وفي صبيحة ليلة الإسراء جاء جِبْريلُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأراه كيفية الصلوات الخمس وأوقاتها، وكانت الصلاةُ قبل ذلك ركعتين صباحاً وركعتين مساء كصلاةِ سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.